

روح المعاني

وإن تصيهم حسنة بعد قوله سبحانه : أينما تكونوا يدرككم الموت ناسب أن تحمل الحسنة الأولى على النعمة والسيئة على البلية ولما أردف قوله D : وما أصابك من حسنة بما سيأتي ناسب أن يحملا على ما يتعلق بالتكليف من المعصية والطاعة كما روى ذلك عن أبي العالية ولهذا غير الأسلوب فعبر بالماضي بعد أن عبر بالمضارع ثم نقل عن الراغب أنه فرق بين قولك : هذا من عند الله تعالى وقولك : هذا من الله تعالى : بأن من عند الله أعم من حيث أنه يقال فيما كان برضاه سبحانه وبسخطه وفيما يحصل وقد أمر به ونهي عنه ولا يقال : من الله إلا فيم كان برضاه وبأمره وبهذا النظر قال عمر رضي الله تعالى عنه : إن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن الشيطان فتدبر .

ونقل أبو حيان عن طائفة من العلماء أن ما أصابك الخ على تقرير القول أي فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة الخ والداعي لهم على هذا التمثل توهم التعارض وقد دعا آخرين إلى جعل الجملة بدلا من حديثا على معنى أنهم لا يفقهون هذا الحديث أعني ما أصابك الخ فيقولونه غير متحاشين عما يلزمه من تعدد الخالق وآخرين إلى تقدير استفهام إنكاري أي فمن نفسك وزعموا أنه قرء به وقد علمت أن لاتعارض أصلا من غير احتياج إلى ارتكاب ما لا يكاد يسوغه الذوق السليم وكذا لاجبة للمعتزلة في قوله سبحانه حديثا على كون القرآن محدثا لما علمت من أنه ليس نصا في القرآن وعلى فرض تسليم أنه نص لا يدل على حدوث الكلام النفسي والنزاع فيه ثم وجه ارتباط هذه الآيات بما قبلها على ما قيل : أنه سبحانه بعد أن حكى عن المسلمين ما حكى ورد عليهم بما رد نقل عن الكفار مارد عليهم أيضا وبين المكيين مناسبة من حيث اشتغالها على اسناد ما يكره إلى بعض الأمور وكون الكراهة بسبب ذلك وهو كما ترى .

وفى الكشف أن جملة وإن تصبهم الخ معطوفة على جملة قوله تعالى : فإن أصابكم مصيبة ولئن أصابكم فضل دلالة على تحقيق التبطئة والتثبيط أما دلالة الأولتين فلا خفاء بهما وأما الثانية فلأنهم إذا اعتقدوا في الداعي إلى الجهاد صلى الله عليه وسلم ذلك الاعتقاد الفاسد قطعوا أن في اتباعه لاسيما فيما يجر إلى ماعدوه سيئة الخبال والفساد ولهذا قلب الله عليهم في قوله سبحانه فمن نفسك ليصير ذلك كافا لهم عن التثبيط إلى التنشيط وأردفه ذكر ما هم فيه من التعكيس في شأن من هو رحمة مرسله للناس كافة وأكد أمر اتباعه بأن جعل طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى مع ما أمده من التهديد البالغ المضمن في قوله سبحانه فمن تولى ثم قال ولا يخفى أن ما وقع بين المعطوفين ليس باجنبي وأن فليقاتل شديد التعلق

بسابقه ولما لزم من هذا النسق تقسيم المرسل اليهم الى كافر مبطله ومؤمن قوى وضعيف
استأنف تقسيمهم مرة أخرى في قوله سبحانه الآتى : ويقولون أى الناس المرسل اليهم الى
مبيت هو الأول ومذيع هو الثالث ومن يرجع اليه هو الثانى فهذا وجه النظم والارتباط بين
الآيات السابقة واللاحقة انتهى ولا يخلو عن حسن وليس بمتعين كما لا يخفى .

هذا ووقف أبو عمرو والكسائى بخلاف عنه على ما من قوله تعالى : فما هؤلاء وجماعة على
لام الجر وتعقب ذلك السمين بأنه ينبغي أن لا يجوز كلا الوقفين اذ الأول وقف على المبتدأ دون
خبره والثانى على الجار دون مجروره وقرأ أبى وابن مسعود وابن عباس وما أصابك من سيئة
فمن نفسك وأنا كتبتها عليك وأرسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم
ومكانته عند ربه سبحانه بعد الذب عنه بآتم وجه وفيه رد أيضا لمن زعم اختصاص رسالته E
بالعرب فتعريف للناس